ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مظاهر الترفيه في مقاطعات افريقيا الرومانية من خلال عروض المسرح (27 ق.م – 429 م)

الباحثة : نصاح غالية
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

أولى الرومان اهتماما بالغا للتسلية والترفيه ، وحاز المسرح على مكانة خاصة لدى الشعب الروماني الذي سارع ببناء مكان خاص لهذه التسلية، وبطبيعة الحال انتقل هذا الشغف مع توسع الإمبراطورية الرومانية إلى مختلف الولايات، خاصة أفريقيا.[1]

وكان المسرح في القديم عبارة عن ألعاب جنائزية تقدم بمناسبة وفاة أحد الشخصيات الهامة في روما، حيث كان عبارة عن مواكب وطقوس دينية تقدم لتسلية الآلهة والموتى قبل تسلية الأحياء، وبعدها تطورت واستقلت عن الألعاب العامة لتصبح ألعاب مشهدية(ludiscenici) تقدم في الهواء الطلق، وهذا من جراء التأثير الإغريقي فيها[2].

يخبرنا تيت ليف أن روما في عام 364 ق.م مرت بوباء الطاعون فتوسل الرومان إلى الآلهة لكي ترفع غضبها عنهم، وذلك بإقامة ألعاب مشهدية، حيث جلبوا من أتروريا مهرجين يرقصون على إيقاعات العازفين، ومن هنا بدأت العروض المسرحية.[3]

ظهور المسرح في روما:

كان المسرح في روما كما عند الإغريق عبارة عن طقوس لعبادة الاله ديونيسوس، وبعدها تطور عبر أربع مراحل:[4]

---

[1] Messikh (M.S), Histoire ancienne et contemporaine de Skikda, entreprise Algérienne de Presse, 1996, p.106

[2] Grimal (P), La vie à Rome dans l'antiquité, P.U.F.,1953, p.45-46

[3] Dumur (G), Histoire des spectacles, Gallimard, la pléiades, 1965, p.537

[4] Decker (W) et. Thuillier (J.P), le Sport dans l'antiquité : Egypte-Grèce-Rome, Antiova, France,2004, p. 7-8

في البداية تمثل في عروض مشهدية مستوردة من أتروريا في القرن الرابع ق.م، وكانت عبارة عن رقص وموسيقى مع قرابين الآلهة.

وبعدها تطورت إلى عروض رقص مع إدخال الكلام، وبهذا أصبح هذا الفن الدخيل لديه طبعة رومانية، وهكذا كان الممثلون يمثلون دون تحضير، أي الكلام كان إرتجاليا، ولم تكن هناك نصوص مكتوبة مسبقا.

في هذه المرحلة أصبح الممثل فنانا يحمل اسم البهلوان(Histrion) حيث يمثل بالرقص والموسيقى مقاطع تعتمد على نصوص (Satura)محضرة مسبقا ومحفوظة عن ظهر قلب، بمعنى انتهاء الإرتجالية، وكانت المواضيع متنوعة.

في المرحلة الأخيرة ظهر المسرح بأتم معنى الكلمة، حيث اختفت النصوص المحضرة مسبقا لتحل محلها الرواية المسرحية (fabula scaenica)، وهكذاعرضت في القرن الثالث ق.م مسرحيات تروي حكايات مأخوذة من الواقع.

بناية المسرح

معظم المدن الأفريقية التي وصلتها السيطرة الرومانية تملك مسرحا خاصا بها، وهذا ما يبين لنا مرة أخرى شغف الرومان المتواجدين في مقاطعات أفريقيا للألعاب المشهدية أي المسرح.يبحث الرومان عادة عن هضبة ليتم بناء المسرح أمامها، وذلك من أجل إسناد مدرجات المتفرجين عليها، وهكذا يوفرون المصاريف التي تصرف في بناء أعمدة لرفع المدرجات، مثل ما يحدث في بعض الأحيان إن لم يجدوا هضبة مناسبة، حيث يحبذ أن يكون المسرح في جوار الساحة العامة.[5]

في البداية كان الرومان يقدمون العروض المسرحية في الهواء الطلق، فوق منصات متحركة تقام من أجل المناسبة. وفي عام 179 ق.م حاولوا إقامة مسرح خشبي، لكن هذه المبادرة لم تعجب الكثير من النبلاء الرومان، وبعد مرور أكثر من قرن حظيت روما بمسرح دائم مصنوع من الحجر في ساحة مارس ، وكان ذلك سنة 55 ق.م في عهد بوميوس.[6] ولكي يتم قبول هذه البناية من طرف النبلاء التقليديين

[5]Charles-Picard (G),la civilisation de l'Afrique romaine, librairie Plon, Pris, 1959, p.189

[6]Salles (K),L'antiquité romaine des Origines à la chute de l'Empire, Larousse, France, 2000, p.398

(traditionaliste) اضطر بوميوس إلى تقديم هذه البناية كملحق بسيط لمعبد أقامه للالهة فنوس.[7] و كان قطر هذا المسرح حوالي 160 متر يسع لسبعة وعشرين ألف متفرج جالس، وبعد ذلك تتابع بناء مسارح أخرى مثل مسرح بالبوس (Lucius Cornelius Balbus) الذي بني عام 13ق.م يحتوي على 7700 مقعد، ومسرح مارسلوس الذي أنهي بناؤه عام 11 ق.م حيثيصل قطره إلى 150 متر أي 14000 مقعد.[8]

وضعت نظرية بناء المسرح من طرف المهندس المعماري الروماني فيتروفيوس(Vitruvius) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، حيث أعطى قوانين دقيقة حول شكله الهندسي، كما قدم تعليمات تخص موقعه، فمثلا يقول أن المكان الذي يبنى فيه المسرح يجب
أن يكون هواؤه نقيا لأن المتفرجين سيعرضون صحتهم للأذى إن مكثوا وقتا طويلا في مكان ملوث، كما لا يجب أن تعرض بناية المسرح إلى أشعة الشمس وقت الظهر.[9]
تأثرت المسارح الرومانية بالمسارح اليونانية، لكن حدث فيها بعض التعديل، فمثلا نظمت المقاعد بشكل نصف دائري كما أخذت مساحة من الأوركسترا وأصبحت مقاعد مخصصة لكبار الشخصيات، كما وسعت المنصة[10] وأغلقت بجدار (Fromscaenae) حيث يعطى للبناية مظهرا مغلقا، وحفرت في هذا الجدار عدة كوات (Niches) زينت بتماثيل، ويصل علو هذا الجدار إلى أعلى المدرجات[11]. وفيه ثلاثة أبواب تربط المنصة بالخلف أو الكواليس، حيث نجد الباب الملكي في الوسط، الذي يدخل من خلاله ممثلو أدوار الشخصيات الهامة، وباب في اليمين الذي يعني أن الممثل الداخل جاء من الساحة العامة، بينما الباب الأيسر يعني المجيء من الخارج اي الغرباء[12].

---

(7) Grimal (P), Op.cit, p.46

(8) Carcopino (J), la vie Quotidienne à Rome à l'apogée de l'Empire, Hachette, Paris, 1939, p.256

(9) Barthelemy (S) et Gourvitch (D), les loisirs des Romains, S.E.D.E.S., Paris, 1975, p.192

(10) Dumur (G), Op.cit, p. 539

(11) Salles (K), Op.cit, p.398

(12) Dumur (G), Op.cit, p. 540

يصل المتفرجون إلى أماكنهم عبر أروقة (Vomitoria) تحت أرضية المدرجات[13]، كما يغطون بقماش (Velum) يوضع فوق أعلى المدرجات يحميهم من أشعة الشمس والعواصف.[14]كما ان هناك نقطة دقيقة أشار إليها فيتروفيوس وهي سقف الرواق الذي يكون في أعلى المدرجات يجب أن يكون على علو المنصة حتى يصل صوت الممثلين إلى أعلى المقاعد في المسرح.[15]

و هنا نستعرض بعض المعالم الخاصة بالمسرح المتواجدة في شمال افريقيا:

مسرح دوقا (Dougga):

تم اكتشاف آثار مسرح دوقا من طرف الدكتور كارتون (R. Carton)، حيث وجد آثاره شبه سليمة مثل المقاعد التي صففت على 25 صف، والمنصة التي لا تزال مغطاة بالفسيفساء وبعض من الجدار الخلفي للمنصة وكذلك الأوركسترا.[16]

بني مسرح دوقة حوالي عام 168م أو 169م، حسب القوانين العامة في الهندسة الرومانية، من طرف أحد الأغنياء، حيث نجد نقش في أعلى عمود يبين لنا أن ذلك الرجل وهب المدينة مسرحا وقدم عروضا مسرحية متبوعة بتوزيع الأموال ووليمة في يوم تدشين هذا المسرح.[17]ومثل معظم المسارح نجد في مسرح دوقا خزانات مياه لرش المتفرجين في الأيام الحارة، وكذلك النسيج الواقي ضد المطر ويسع هذا المسرح لاكثر من 3000 متفرج.[18]

مسرح سكيكدة (روسيكاد):

---

[13] Salles (K), Op.cit, p.398

[14] Poinssot (C), les ruines de Dougga, institut national d'archéologie et Arts Tunis,1958, p.29

[15] Barthelemy (S) et Gourvitch (D), Op.cit, p.193

[16] Cagnat (R), les villes antiques de l'Afrique du nord, Laurens, Paris, 1909, p.90

[17] Bertrand (L), les villes d'or d'Algerie et Tunisie romaine, Fayard, Paris, 1921, p.142

[18] Poinssot (C), Op.cit, p.28-30

بني مسرح سكيكدة حسب النموذج الكلاسيكي الروماني، فهو على شكل دائري، وفي نصفه توجد المقاعد المدرجة المسنودة على هضبة بويعلى(Bouyala) والمحيطة بالأوركسترا المخصصة لجلوس القضاة والشخصيات الهامة في المدينة.وإلى الأمام من الأوركسترا تعلو المنصة (Proscenium)على نحو المتر، ويفرقهما الجدار الأمامي للمنصة (Pulpitum) الذي يبلغ علوه حوالي متر ونصف وعرضه مترا، وزين من جهة المتفرجين بكوات وكورنيشات بداخلها تماثيل.[19]يعتبر مسرح سكيكدة من أكبر المسارح الرومانية بأفريقيا الشمالية حيث يبلغ قطره 87 متر ويغطي مساحة 4900م^2، حيث يسع لحوالي 6000 متفرج.[20]

مسرح عنابة (HippoRegius):

بني مسرح عنابة في القرن الأول للميلاد، حيث بقي منه حاليا بعض المقاعد المدرجة في الأسفل، ويبلغ عرض كل مقعد حوالي 0.76 م وعلوه 0.40 م، ويبلغ قطر الأوركسترا
حوالي 16 م.[21] ويبلغ القطر الإجمالي لمسرح عنابة 52 م حيث يسع لحوالي 3000 متفرج.[22]

مسرح تمقاد (Thamugadi):

بني مسرح تمقاد في عام 169 م، وكان مسنودا على هضبة في جوار الساحة العامة، ولم يبق منه سوى الجزء السفلي من البناية بمعنى أنه يمكننا رؤية المقاعد السفلى والأوركسترا والجدار الأمامي للمنصة حيث تظهر فيه الكوات المستديرة والمستطيلة بوضوح، بينما الجزء العلوي للبناية فقد تهدم حيث استعمله البزنطيون في بناء حصنهم.[23] ويقدر قطر مسرح تمقاد بحوالي 62م، ويسع لـ 3000 إلى 4000 متفرج.[24]

---

[19]Messikh (M.S), Op.cit, p.107-108

[20]Ibid, p.107

[21]Marec (E), Hippone la royale antique HippoRegius, imprimerie officielle, Alger, 1950, p. 82-83

[22]Messikh (M.S), Op.cit, p.107

[23]Cagnat (R), Op.cit, p. 88-89

[24]Messikh (M.S), Op.cit, p.107

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مسرح قرطاجة:

تملك مدينة قرطاجة مسرحا وقاعة أخرى تشبه المسرح مخصصة للقراءات العامة والجلسات الموسيقية تدعى الأوديون(Odéon). حيث تكلم عنهما ترتوليانوس دون أن يقدم لنا وصفا عنهما.[25] بني مسرح قرطاجة في عهد هادريان ثم هدم وأحرق من طرف الوندال في 430 م، حيث لم يبق منه إلى المحيط الذي يحدد المسرح. كما وجد فيه بعض التماثيل مثل تمثال أبولون إله الشمس.كذلك الأوديون الذي بني في القرن الثالث للميلاد، عرف نفس مصير المسرح، كما وجد فيه بعض التماثيل مثل تمثال الإلهة جونون(Junon).[26]

هناك مسارح أخرى في مختلف أنحاء أفريقيا الرومانية مثل جميلة (Cuicul)، سبراته، قالمة، لبدة، شرشال، تبسة (theveste)، سبيطلا(Sufetula)، خميسة، أوتيكا، تيبازة، مادوروش(Madaure) ...

مسرح تمقاد (من ويكيبيديا)

مسرح قالمة (من ويكيبيديا)

المكلفون ببناء المسرح وتقديم العروض:

إن بناء مسرح في أفريقيا في العهد الروماني يكلف حوالي 400000 سسترس أي ما يعادل 20 مليون فرنك فرنسي 1957،[27] فمثلا قدر ثمن بناء مسرح قالمة بـ 400000

[25] Audollent (A), Carthage romaine : 146 av.j-c.-698, Foutemoing.ed, Paris , 1901, p.313

[26] Cagnat (R), Op.cit, p.24-26

[27] Poinssot (C), Op.cit, p.30

سسترس، بينما مسرح مادوروش قدر ثمنه بـ 375000 سسترس، والمسرحان يؤرخان من بداية القرن الثالث للميلاد.[28]

إضافة إلى تكاليف البناء هناك التكاليف التي تعود كل مرة أثناء العروض وهي التي تطلبها الفرق المسرحية، خاصة المشهورة، من ممثلين وعمال الكواليس. فبعض الولايات الأفريقية غير قادرة على شروط هذه الفرق المشهورة، ولهذا تستعين ببعض الفرق المحلية الأقل شهرة. ويقال أن الإمبراطور كراكلا (Marcus Aurelius Antoninus Bassianus) (211-217م) كان قلقا على شعبيته في لبدة فقام بإرسال أشهر ممثلي ليقدموا عرضا مسرحيا في تلك الولاية، وكان هذا بمثابة شرف عظيم لأهل لبدة.[29]

كان القضاة وحكام الولايات هم المكلفون بتوفير هذه العروض المسرحية للمواطنين وفي بعض الأحيان يتفضل بعض الأغنياء بتقديمها هدية لإخوانهم المواطنين، وتصل كلفة هذه العروض عادة إلى 100000 سسترس للعام الواحد. وللمقارنة فإن الجنود يتقاضون 2000 سسترس للعام الواحد وبعض الممثلين المشهورين يتمادون في شروطهم مثل أبولونيوس(Apolonius) الذي تمكن من قبض 400000 سسترس من طرف الإمبراطور فيسباسين للعرض الواحد.[30]

جمهور المسرح:

يدخل المتفرجون إلى المسرح عبر المدخلين المجاورين للمنصة، حيث يقودهم عمال المسرح (Designatores) إلى المقاعد، ويجلس كل متفرج في المكان الخاص به، وكل حسب مكانته الاجتماعية[31]، بينما النساء عزلن عن الرجال حيث أجلسن في المقاعد العليا للمسرح، ويتقاسمن هذه المقاعد مع العمال والعبيد الذين لا يرتدون

---

[28] Bourgarel-Musso (A),Recherche économique sur l'Afrique romaine, in « revue africaine » N° 360-361,1934, Alger,p. 3

[29] Charles-Picard (G), Op.cit, p.275

[30] Hammam (A.G), Op.cit, p.166

[31] Boissier (G),l'Afrique romaine promenade archéologique en Algerie et en Tunisie, Hachette, Paris, 1901, p.238 -239

اللباس الرسمي الخاص بالمناسبات، أما المتفرجون الذين يجلسون في المقاعد السفلى والوسطى يتوجب عليهم ارتداء اللباس الرسمي وهو التوجا.[32]

في الأيام الحارة يرش الجمهور بالماء لتخفيف الحرارة عنهم كما يرشون في بعض الأحيان بالعطور مثل ماء الزعفران.[33] هناك من المتفرجين من لا يهتم بالكتابة المسرحية حيث يهمه أكثر الديكور وجمال النساء[34]، ومنهم من يهتم بالهدايا التي تقدم في نهاية العروض، حيث ترمى لهم الحلوى والفاكهة والنقود، وتدعى هذه الهدايا (missilia).[35] حتى القديس أوغسطين يعترف أنه كان شغوفا بالعروض المسرحية أيام كان في قرطاجة، حيث أبكته إحدى المسرحيات (les amours de Didon)، كما شارك في إحدى المسابقات بكتابة مسرحية شعرية وتحصل على الجائزة وتوج بأوراق الرند من طرف البرو قنصل فنديكيانوس(Vindicianus).[36]

الممثل ولباسه:

كان الممثلون في البدايات الأولى للمسرح يأتون من أتروريا، وبعدها اكتسبت روما ممثليها لكنهم كانوا كلهم عبيدا أو معتوقين، إلا في نوع مسرحية الآتلانا التي تعالج مواضيع رومانية فإن الممثلين هم من المواطنين الشباب، وكانوا عبارة عن فرق يديرها مدير (dominusgregis) وكلهم رجال يقومون بمختلف الأدوار إلى غاية العهد الإمبراطوري حيث تمكنت النساء من المشاركة في التمثيليات.[37]

و لكون الرجال يقومون بمختلف الأدوار، توجب عليهم ارتداء لباس معين وأقنعة لكي يتمكن الجمهور من تمييز الشخصيات من جنس لآخر أو من أي فئة عمرية وكذا من أي طبقة اجتماعية.[38]

كما اختلف حذاء الممثل من الكوميديا إلى التراجيديا حيث كان للأول حذاء مسطح (Soccus) وللثاني حذاء عالي (Crepida). وإذا كانت المسرحية ذات موضوع إغريقي

---

[32] Ibid, p.240

[33] Dumur (G), Op.cit, p.541

[34] Carcopino (J), Op.cit, p.258

[35] Boissier (G), Op.cit, p. 262-263

[36] Hammam (A.G), Op.cit, p.149-150

[37] Salles (K), Op.cit, p.399

[38] Carcopino (J), Op.cit, p.258

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

أي الباليانا فإن اللباس يكون إغريقيا أيضا وهو عبارة عن قميص ومعطف (Pallium)، وفي المسرحيات الرومانية لدينا توجة للرجل الحر، قميص للعبد و معطف للمسافرين، وقميص وفستان ومعطف بالنسبة للنساء. كما تستعمل الألوان للتمييز، مثلا الألوان القوية للشباب، والأبيض للمسن، والأصفر للفتيات...[39]

كما يلبس الممثل شعرا مستعارا للتمييز فلدينا الشعر الأشقر للشباب والأبيض للعجائز والأحمر للعبيد، أما الأقنعة فهي كثيرة، حيث ترك لنا الإغريقي يوليوس باولوس(Julius Paulus) من القرن الثاني للميلاد كتابا يفصل فيه مختلف الأقنعة التي تستعمل في المسرح والتي تميز لنا السلوكيات والانفعالات الخاصة بالشخصيات، فيعدها إلى 44 قناع، منها 27 قناع خاص بالرجال، و17 قناع خاص بالنساء، فمنها الرجل الحر المسن، الرجل الحر الشاب الرجل العبد المسن، الرجل العبد الشاب، المرأة الحرة المسنة، المرأة الفاسقة المسنة والمرأة الفاسقة الشابة إلى غير ذلك.[40]

وجدت في سوسة عدة مشاهد فسيفساء خاصة بدار الأقنعة (Maison des masques) نرى فيها كاتب التراجيديا يحمل بيده لفافة ورق، وأمامه ممثل شاب يرتدي اللباس الروماني، وأمامهما قناعان.[41]و زين مدخل هذه الدار بثلاثة أقنعة حيث نرى في اليسار قناع المرأة الفاسقة مع شعراشقر يبين جشعها، في الوسط قناع شيخ عجوز تظهر حاجباه أنه غاضب، مع خدين مجعدين ولحية ملساء، وفي اليمين نرى قناع لرجلعبد حيث يظهر شعره أحمر و وجهه محمرا، ومن خلال تعابير الوجه يمكننا أن نستنتج أنه مخادع ومحتال.[42]

[39]Dumur (G), Op.cit, p.542

[40]Martin (R) et Gaillard (J)., Les Genres littéraires à Rome, T.II, Scodel, Paris, 1981, p.21-22

[41]Slim (H), Sols de l'Afrique romaine : mosaïque de Tunisie, imprimerie nationale édition, Paris, 1995, p.219

[42]Ibid , p.222

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

فسيفساء دار الأقنعة بسوسة، (Slim (H), Op.cit, p. 222 فسيفساء دار الأقنعة بسوسة،(Slim (H), Op.cit, p. 220
وجدت كذلك في عنابة رأس من الرخام علوه 26 سم، يمثل رأس ممثل هزلي حيث يضع فوق رأسه شعرا مستعارا وحاجبين اصطناعيين، وفمه مفتوح بإفراط.[43]

لم يكن لكتاب المسرحيات اعتبار كبير ولا أجرة محترمة، حيث كان عليهم أن يعملوا كمدراء للفرق المسرحية للتمكن من العيش الكريم، وكان مدير الفرقة يهتم بتعليم الممثلين مختلف تقنيات التمثيل، كما يهتم بالإخراج وأجور الممثلين.[44]

رغم احتقار الممثلين اجتماعيا، فإن بعضهم عرف نجاحا باهرا خاصة النساء اللواتي يهمن بشغف حبهم، وهناك منهم من صنعت له التماثيل، أو خلد في الأشعار، مثل الممثل الإيمائي فنسنتيوس(Vincentius)حيث وجد في تمقاد شعر منظم لأجله.[45]

عروض المسرح ومواضيعه:

قدم المسرح الروماني عدة عروض متنوعة تهدف كلها إلى تسلية المواطن في روما، ونفس الشيء حدث في الولايات التابعة للإمبراطورية الرومانية. حيث نجد في مدن أفريقيا الشمالية دلائل كثيرة عن المسرح أهمها مشاهد الفسيفساء التي تخبرنا عن كل ما كان يقدم في المسرح الأفريقي من تمثيليات كالتراجيديا والكوميديا والغناء والرقص وغيرهم. ومن أهم هذه الفسيفساء مشهد الآلهات التسع للفنون (Les muses) الذي يتكرر في عدة أماكن في أفريقيا الشمالية مثل الجم، فنرى إلهة الشعر وإلهة الرقص وإلهة الغناء وإلهة التراجيديا وإلهة الموسيقى وإلهة الكوميديا[46]...

الكوميديا:

في الحقبة التي كانت الكوميديا أو المسرح عامة متأثرا بالمسرح الإغريقي قدمت أول مسرحية من طرف ليفيوسأندرونيكوس(LiviusAndronicus) (280-207 ق.م)،

[43]Marec (E), Op.cit, p.87
[44]Dumur (G), Op.cit, p.547
[45]Charles-Picard (G), Op.cit, p.275
[46]Slim (H), Op.cit, p.223

وكان هذا الأخير عبارة عن أسير حرب إغريقي أسر في 272 ق.م عند الاستيلاء على تارنتا(Tarente) المدينة الهلنية في جنوب إيطاليا.

وقام بترجمة الأعمال الإغريقية إلى اللاتينية[47]، وبهذا كانت الكوميديا في الأول عبارة عن ترجمة للأعمال الإغريقية (fabula palliata). ومن أشهر الكتاب في هذه الآونة المتأثرين بالإغريق نجد بلوت(MarcciusPlautus)(254-184 ق.م) بمسرحية الجندي المدعي (le Soldat fanfaron)و ترانس(PubliusTerentiusAfer) بمسرحية الحماة (la belle mère).[48]

وكان لهذا النوع من الكوميديا المتأثرة بالإغريق صدى عند المتعلمين أي الطبقة الراقية من المجتمع، اما بقية الشعب الروماني فكان يبحث عن كتابات أخرى ليرى نفسه فيها، وهكذا بدأ تيار جديد في الكتابات يهتم بالإبداع اللاتيني البحت (fabula togata). وأول من مثل هذا المسرح الروماني هو تيتينيوس(Titinius) في مسرحية بنت سينتيا(la fille de Sentia).[49]

و تطورت المسرحيات الرومانية وأصبحت تحمل اسم تابرناريا(Tabernaria) لأنها تعرض في الحوانيت، وتهتم بالأخلاق الشعبية وخاصة الحرف والمهن، كما حملت اسم الأتلانا(Atellane) نسبة إلى مدينة أتلا (Atella) في بداية القرن الأول ق.م، وكان هذا النوع هو الأقرب إلى الشعب الروماني وعاداته واهتماماته.[50] ومن أشهر كتاب هذا النوع نجد نوفيوس(Novius) و بومبونيوس(Pomponius) ولكن لا نعرف عنهما شيئا ولا عن أعمالهما.[51]ومن هذا النوع الأخير ظهرت أنواع كثيرة مثل الإيمائية والتمثيلية اللتان سنعود إليهما فيما بعد.

التراجيديا:

مرت التراجيديا الرومانية تقريبا بنفس المراحل التي مرت بها الكوميديا الرومانية، حيث كانت في البداية عبارة عن ترجمة للأعمال الإغريقية أو تقليدها.. وبعدها حاولت الإبداع مثل الكوميديا، فظهرت التراجيديا بمواضيع لاتينية وهي

---

[47] Martin (R) et Gaillard (J), Op.cit, p.9

[48] Ibid, p. 40

[49] Ibid, p. 41

[50] Dumur (G), Op.cit, p.543

[51] Martin (R) et Gaillard (J), Op.cit, p.43

البرايتكستا(Praetexta) نسبة إلى المعطف (toge pretexte) الذي يلبس من طرف القضاة في الاحتفالات العامة مطرز بالأحمر، وكانت مواضيعهاعادة تهتم بالتاريخ اللاتيني.[52] إلى جانب البرايتكستا ظهر نوع آخر وهو الترابيتا(trabeata) نسبة إلى لباس ترابيا (trabea) الذي يعني لباس الفرسان في المناسبات، وهذا يهتم بالمواضيع الاجتماعية أو الدراما.[53]

ومن أشهر كتاب التراجيديا لدينا ليفيوسأندرونيكوس(LiviusAndronicus) الذي تميز كذلك في الكوميديا، وإينيوس(Quintus Ennius) (239 - 169 ق.م) وباكوفيوس(Pacuvius Marcus) (220 -130 ق.م) كلهم من العهد الجمهوري، وفي القرن الأول للميلاد ظهرت التراجيديات التسع لسينيك منها: هرقل الغاضب (Hercule le furieux)، الطروادیات(les Troyennes)، الفينيقيات (les phéniciennes).[54]

ومنذ ذلك الوقت أي بعد أعمال سنيك تجمد الإبداع في الكوميديا والتراجيديا ومل الشعب الروماني من المسرحيات القديمة وغير المتجددة، وهكذا تركت التراجيديا والكوميديا المكان لأنواع مسرحية جديدة: [55]

التمثيلية (mime):

إن أصل كلمة (mime) جاء من الفعل الإغريقي (mimeithai) الذي يعني قلد، وبهذا يتضح لنا معنى التمثيلية التي تعني تقليد الحياة بمعنى نقل لقطات من الحياة إلى المنصة وكانت النصوص عبارة عن نثر لكي يكون أقرب إلى الكلام العادي في الحياة.[56]

ولما كانت التمثيلية هي تقليد الحياة الاجتماعية فإن الممثلين لا يضعون أقنعة وبهذا وجب تمثيل النساء مع الرجال.[57]

---

[52] Ibid, p.49

[53] Dumur (G), Op.cit, p.544

[54] Martin (R) et Gaillard (J), Op.cit, p.50-51

[55] Boissier (G), Op.cit, p.254 -255

[56] Martin (R) et Gaillard (J), Op.cit, p.62

[57] Hammam (A.G), Op.cit, p.150

وكان إخراج هذه المسرحيات يبالغ في تمثيل الحقيقة، حيث تمارس العلاقات الجنسية أمام الجمهور، ويخبرنا مارسيال أن شخصية السارق لوريولوس(Lauréolus) الذي يجب أن يموت في نهاية المسرحية استبدل بأحد المدانين وقتل حقيقة أمام الجمهور.[58] و كانت التمثلية عبارة عن قطع قصيرة مثيرة للضحك كما كانت تعتمد على الصفع والضرب باليد والرجل، ولهذا وضع شخص خاص(Stupidusgregie)ليتلقى هذه اللكمات.[59]

و من بين المواضيع التي اشتهرت في نوع التمثيلية نجد السارق لوريولوس الذي يقوم بعدة حيل للسلطات وفي النهاية يلقى عليه القبض ويعاقب، وموضوع آخر هو الخيانات الزوجية، حيث يدخل الزوج

فجأة إلى البيت أين توجد زوجته مع عشيقها، فيضطر العاشق أن يختبئ في صندوق أو يقفز من النافذة.[60]

وبعدها تطور هذا النوع حيث انفصل فيه الغناء عن التمثيل، وبهذا ظهرت الإيمائية.[61]

الإيمائية (pantomime):

بانفصال الغناء عن التمثيل ظهرت الإيمائية بالقناع و اللباس الخاصين بها. و كانت تعالج مواضيع مضحكة أو جدية، أسطورية أو حقيقية.[62]

والشيء الذي يميز الإيمائية هو وجود ممثل وحيد على المنصة بمرافقة عازف مزمار ومغني، وهكذا يحاول الممثل الإيمائي ترجمة كلمات المغني بحركات جسدية، وفي بعض المختارات الأدبية (Anthologie) يمكننا قراءة: « الممثل الإيمائي يصل إلى المنصة، يحي الجمهور ويعلن أنه سيتكلم باليد، وفي الوقت الذي يبدأ فيه المغني الغناء يبدأ الممثل ترجمة كلمات الأغنية بالحركات، فهو يقاوم ويلعب ويحب ويغضب ويهدأ ويقلق، حيث يعطي للمشاعر وضوحا أكثر، فهو يتكلم بكل جسده» [63].

---

[58] Martial, Spectacles, Op.cit, VII ,4

[59] Boissier (G), Op.cit, p.259

[60] Cagnat (R), Op.cit, p.94

[61] Dumur (G), Op.cit, p.545

[62] Ibid, p.545

[63] Cagnat (R), Op.cit, p.93-94

ولما كانت الإيمائية تحاول دائما أن تهيج الجمهور وتخلق فيه مشاعر قوية، استطاعت أن تحوز على إعجاب الجمهور الروماني وحتى في الولايات مثل أفريقيا، واستطاعت أن تحافظ على مكانها في المسرح إلى غاية نهاية الإمبراطورية.[64]

وفي هذا الصددیعترف القديس أوغسطين أنه بكى في إحدى المسرحيات الإيمائية التي عنوانها إفلاس ديدون (infortune de Didon) في أيام شبابه لما كان يتردد على المسرح.[65]

ولكون الإيمائية تتطلب لباس قناع فهذا يُغني عن اشتراك النساء في التمثيل، حيث كان الممثل الإيمائي لوحده يؤدي عدة أدوار: الرجل والمرأة والشيخ والطفل والملك والعبد ... ولم تخترق النساء هذا الميدان إلى غاية القرن الرابع للميلاد، وكانت إحداهن تيودورا(Théodora) التي أصبحت فيما بعد إمبراطورة.[66]

الموسيقى والغناء:

عرفت الموسيقى منذ القديم وكانت مندمجة في مختلف جوانب الحياة مثل الطقوس الدينية، الحروب والاحتفالات المدنية والألعاب كالمدرجات والسرك، وكذا في الولائم والمآدب الخاصة، و نجدها مدمجة بكثرة مع العروض المسرحية أو الألعاب المشهدية.[67] وخصصت كذلك للموسيقى أو الجلسات الموسيقية مكان زيادة على المسرح وهو الأوديون. الذي نجده في مختلف أنحاء الإمبراطورية مثل قرطاجة.[68]

و كانت وظيفة الموسيقى في المسرح هي مرافقة الشعر الغنائي (poésie lyrique) وسمي هكذا نسبة إلى آلة اللير أو القيثارة التي ترافق الشعر، وينقسم هذا الشعر الغنائي إلى الأغنية التي تهتم بالمشاعر الشخصية تجاه أشخاص آخرين، ومنه النشيد (Hymne) الذي يهتم بالمشاعر الجماعية تجاه العقيدة أو الوطن.[69]

الأصول الإغريقية للشعر الغنائي اللاتيني:

---

[64] Boissier (G), Op.cit, p.258

[65] Hammam (A.G), Op.cit, p.152

[66] Ibid, p.154

[67] Salles (K), Op.cit, p.473

[68] Barthelemy (S) et Gourvitch (D), Op.cit, p.XXXIX

[69] Martin (R) et Gaillard (J), Op.cit, p.70

عرف الإغريق منذ الحقبة العتيقة نوعين من الشعر الغنائي وهما الغناء الفردي (Lyrisme monodique) وكان بصوت شخص واحد، وجاء من الأغاني الشعبية الإغريقية، والغناء الجماعي أو الجوقة (Lyrisme choral) تؤديه جماعة من الأشخاص وجاء من الأغاني الدينية، ولم يتمكن هذا الشعر الغنائي من الصمود في الإغريق عبر العصور حيث ظهر نوع جديد وهو الشعر الغنائي المسرحي.[70]

و في القرن الأول قبل الميلاد ظهر هذا الشعر الغنائي الموجه للمسرح في روما ليتطور ويصبح فيما بعد ما يعرف بالتمثيل الإيمائي.[71]

- الأنواع المختلفة للشعر:

كانت في ذلك الوقت عدة أنواع من الشعمثل:[72]

الشعر الريفي أو الرعوي (bucolique): يهتم بوصف حياة وعادات الرعاة، وأهمهم الشاعر فرجيليوس(PubliusVergilius Moro) (70-19 ق.م) بقصيدة الريفيات (les pastorales) .

الرثاء (elegie): هو شعر شخصي حيث يعبر فيه الشاعر عن شغف الغرام الذي يحس به تجاه امرأة أو الوطن، وأشهرهم كاتول(Catulle).

الهجاء (poésie satirique): هو شعر يحث على التفكير الفلسفي والجدل، وأشهرهم جوفينالوهوراس.

السخرية (épigramme): حيث يعبر عن مشاعر السخرية والكره والنقد مثل الشاعر مارسيال.

وكان هؤلاء الشعراء مصدر إلهام للشعراء الأفارقة خاصة الشاعر فرجيليوس الذي تُعلَم اللغة اللاتينية من خلال أشعاره. ونجد ممثلا في أكثر من مشهد فسيفساء في أفريقيا، مثل فسيفساء سوسة، حيث نراه جالسا وسط كاليوب(Calliope) إلهة الشعر وميلبومين(Melpoméne) إلهة التراجيديا، وهو يحمل

(70) Ibid, p.71 -72

(71) Ibid, p.72

(72) Ibid, p.67-68

لفافة شعر على ركبتيه ويرتدي قميص البرايتكستا الخاصة بأعضاء مجلس الشيوخ الروماني.[73]

استعمل الرومان القدامى عدة آلات موسيقية منها الآلات الوترية مثل اللير التي هي عبارة عن صندوق صوتي مصنوع من قوقعة السلحفاة والأوتار غير متساوية الطول عددها من 3 إلى 15، ويعزف عليها العازف باستعمال عود خشبي أو من العاج، تطورت هذه الآلة لتصبح السيتارة(Cithare) حيث يصنع الصندوق من الخشب. وهناك آلات النفخ مثل المزمار، البوق، إضافة إلى آلة الآرغن(Orgue)، الطبل(Tambourin)والصناجات (Castagnettes).[74]

ونجد في أفريقيا عدة لوحات فسيفساء تمثل لنا الآلات الموسيقية ومن أشهرها أرفوس(Orphée) ابن كاليوب إلهة الشعر يعزف على قيثارة.[75]

نماذج من عروض قدمت في مسارح أفريقيا الرومانية:

مثل كل المسارح الرومانية عرضت مسارح أفريقيا عروضا متنوعة منها الفكرية مثل الندوات، القراءات العامة والجدل الشفهي الذي أحبه الأفارقة كثيرا، ومن هنا لمع اسم أبولي(Lucius Apuleius) (125 -170م) ومنها العروض المشهدية كالهزلية والدرامية إضافة إلى الألعاب البهلوانية والسحرية.[76]

و ما يوضح لنا تلك العروض التي قدمت في أفريقيا هو مختلف لوحات الفسيفساء التي تصور لنا مشاهد مسرحية مثل فسيفساء سوسة ونرى فيها خادما عوقب بالضرب، فوضع يده على الألم، وطلب بيده الأخرى العفو من سيده، بينما صاحب القناع الأحمر وهو المبعوث أمسك يد السيد ليمنعه من مواصلة الضرب. وربما كانت هذه اللوحة لقطة من مسرحية الشاعر الهزلي بلوت .[77]

---

[73] Slim (H), Op.cit, p.222

[74] Salles (K), Op.cit, p.474

[75] النيفير (م)، الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1969، ص.56

[76] Poinssot (C), Op.cit, p.31

[77] النيفير (م)، المرجع السابق، ص.54

إضافة إلى الشواهد الأثرية التي تخبرنا عن المسرح في شمال أفريقيا لدينا الكتابات الأدبية التي تروي لنا بالتفصيل عدة مسرحيات، وأشهرهم الكاتب الأفريقي أبولي الذي يعطي لنا تفاصيل عن المسرحية الأسطورية وهي عرضلتنافس الآلهات على جائزة الجمال والتي عرضت في مختلف المسارح الرومانية من بينهم مسرح قرطاجة.

يحكي أبولي في كتابه التحولات (les métamorphoses) من خلال البطل لوسيوس(Lucius)، وهو المغامر الذي حضر عرض تنافس الآلهات على جائزة الجمال في مسرح قرطاجة وهو أمام جدار المسرح فيقول:« بدأ العرض بمقدمة موسيقية ترافق رقصات محترفة أعجبتني كثيرا، وبعدها تقدم فتيان وفتيات في ربيع عمرهم وفي منتهى الجمال يلبسون لباسا أنيقا، ويقدمون حركات معبرة للرقصة الإغريقية، وهم يشكلون بذلك أشكالا هندسية مختلفة، وفجأة سمعنا صوت البوق حيث توقف الشباب عن الرقص، وبعدها ظهر ديكور جديد للقطة جديدة، ظهر جبل وفيه عين تجري منها المياه، وبعض الماعز ترعى في الحشيش ومعهم شاب جميل بلباس أنيق وهو الراعي باريس (Pâris)، يدخل طفل صغير في منتهى الجمال وبيده عصا يمثل مركور (Mercure) إله التجارة، يتقدم بحركات راقصة، ليعطي تفاحة ذهبية للراعي، ثم يختفي.

تدخل فتاة جميلة تمثل الإلهة جونون، وهي زوجة جوبيتر وإلهة الآلهة، وبعدها تدخل امرأة أخرى تمثل منرفا(Minerve) إلهة الحرب، ثم تظهر فتاة في منتهى الجمال وكمال الجسد حيث ترتدي فقط بعض الحرير الخفيف ليبين أكثر تفاصيل جسمها، وهي فنوس إلهة الحب، تتقدم الإلهة جونون بمرافقة صوت المزمار وتعد الراعي أنه لو أعطاها جائزة الجمال ستهبه ملك كل آسيا، بينما الإلهة منرفا تعده أنه سيصبح شيخا محاربا ويحقق انتصارات وأمجاد، بينما الإلهة فنوس تتقدم وسط مجموعة أطفال كأنهم جاءوا من السماء، وتعد الراعي أنها لو تحصلت على لقب الجمال ستقدم له امرأة تساويها في الجمال. وعندها قرر الراعي باريس أن يقدم لقب الجمال لفنوس وأعطاها التفاحة الذهبية، بينما منرفاوجونون تغادران المنصة بخيبة امل، وتبقى فنوس فرحة وجميلة وسط المنصة ترقص على النغمات وعند نهاية حكم الراعي، اختفى الجبل في الأرض وانتهت المسرحية.»[78]

[78]Apulée, Métamorphoses, T.1,trad.VictorBetoland, Garnier frères, Paris, s.d, X, 29-34

بعدما تطور المسرح وحاز على جمهور كبير، بدأ الإبداع الأدبي يتجمد وتتوجه مواضيعه نحو الفسق، كما اتسمت أخلاق الممثلات والراقصات بالانحلال مثل راقصات مدينة قادس.[79] وهناك فسيفساء قرطاجة من القرن الرابع للميلاد تبين لنا هذا الانحلال الأخلاقي، حيث نرى فيه راقصتين ومأدبة عشاء، وعادة هذا العشاء ينتهي بالأفعال المخلة بالآداب بين الضيوف والراقصات.[80]

[79] Dumur (G), Op.cit, p.545-546

[80] Hammam (A.G), Op.cit, p.168